

قبل كل شئ يطلب من الطالب الرجوع الي بعض المصادر و المراجع لهذه المحاضرة :

- تفسير ابن كثير ، الآية 2 من سورة الروم ، المصحف الالكتروني .
- ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة: زكي نجيب محمود، محمد بدران، عبد الحميد يونس، محمد علي أبو درة، فؤاد أندراوس، عبد الرحمن عبد الله الشيخ ،1دار الجيل، بيروت - لبنان.

أصل البيزنطيين و عباداتهم:

يذكر ابن كثير في تفسيره حول اصل البيزنطيين : "وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، وهم أبناء عم بني إسرائيل ، ويقال لهم : بنو الأصفر . وكانوا على دين اليونان ، واليونان من سلالة يافث بن نوح ، أبناء عم الترك .

كان البيزنطيون الروم على الوثنية إلى مبعث المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة ، وكان من ملك الشام مع الجزيرة منهم يقال له : قيصر . فكان أول من دخل في دين النصارى من الملوك قسطنطين بن قسطنس واجتمعت به النصارى ، وتناظروا في زمانه مع أريوس كما ذكرنا في المحاضرة السابقة حول التوحيد للأريوسية و التثليث للروم و الرومان، لقد اختلفوا اختلافا كثيرا منتشرا متشتتا لا ينضبط.

إلا أنه اتفق من جماعة النصارى أسقفا ، فوضعوا لقسطنطين العقيدة ، وهي التي يسمونها الأمانة الكبيرة ، وإنما هي في الأصل الخيانة ووضعوا له القوانين يعنون كتب الأحكام من تحليل وتحريم وغير ذلك مما يحتاجون إليه ، وغيروا دين المسيح ، عليه السلام ، وزادوا فيه ونقصوا منه . واعتاضوا عن السبت بالأحد ، وعبدوا الصليب وأحلوا الخنزير . واتخذوا أعيادا أحدثوها كعيد الصليب والقداس والغطاس وجعلوا له الباب وهو كبيرهم ، ثم البتاركة ، ثم المطارنة ، ثم الأساقفة والقساوسة ، ثم الشمامسة . وابتدعوا الرهبانية . وبنى لهم الملك الكنائس والمعابد ، وأسس المدينة المنسوبة إليه وهي القسطنطينية¹ .

نشأة الإمبراطورية البيزنطية :

كانت المدينة التي سماها قسطنطين روما الجديدة Nova Roma ، والتي سميت باسمه في أثناء حياته، قد أقامها على مضيق البسفور جماعة من المستعمرين اليونان حوالي عام 675 ق. م، وظلت ما يقرب من ألف عام تعرف باسم بيزنطية، وسيظل لفظ بيزنطى عنواناً لحضارتها وفنها على مر الأيام، ولم يكن ثمة موضع آخر في الأرض كلها أصلح منها لإقامة عاصمة لدولة ما².

ويذكر ابن خلدون انه لما استتب الأمر لقسطنطين أمر بتجديد مدينة بيزنطية وسمّاها قسطنطينية باسمه وقسم ممالكه بين أولاده، فجعل لقسطنطين قسطنطينية وما لقسطنطين الآخر بلاد الشام الى أقصى المشرق، ولقسطوس الثالث رومة وما والاها. قال وملك خمسين

سنة منها والاهاء، ولعل اختياره للموقع الذي يتوسط الشرق و الغرب هو لدرى و ابعاد تهديدات القوط الغربيين من التوسع و كذا الفرس ، خاصة و ان القوط كان يهدد مذهب التثليث النصراني الذي عليه الروم و الرومان .

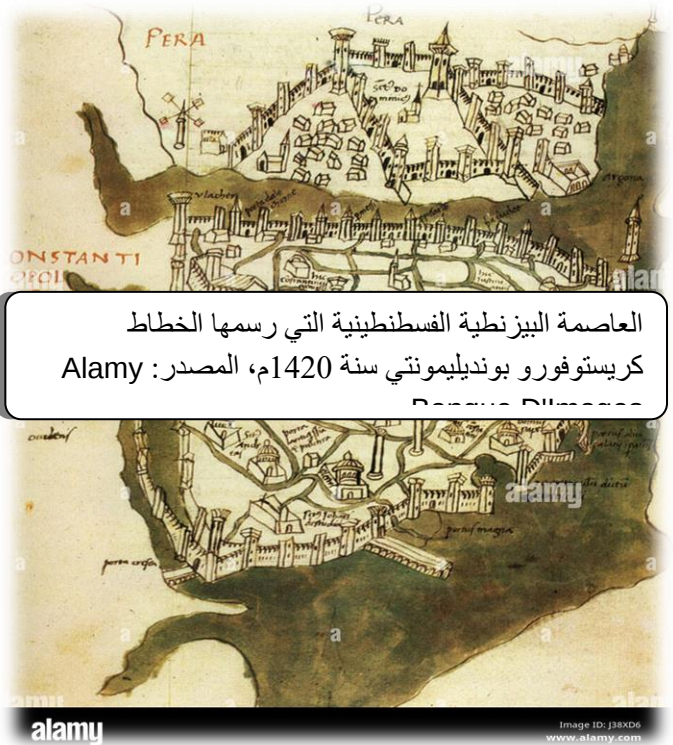
لقد نشبت حروب عديدة بين الروم البيزنطيين و الرومان، تنتهي أحيانا بعاصمة واحدة و أحيانا أخرى بعاصمتين إحداها في الغرب روما و الاخرى في بيزنطة ففي عهد قسطنطين دخل روما سنة 312 م ثم تقدم نحو الشرق وانتصر وقتل حليفه بالامس وخصمه اليوم. وذلك سنة 324 م. أصبح قسطنطين الامبراطور الوحيد لجميع المملكة الرومانية. وفي سنة 330 م نقل مقر الحكومة الى الشرق. وجعل عاصمته بيزنطة. وبقيت المملكة الرومانية ذات وحدة، غير أن اعتيادها للانقسام واحداث عاصمة ثانية فيها فتحا لها بابا إلى الانقسام والانفصال. فلما أفضت الامبراطورية

الى ثأودوسيوس قسم المملكة بين ولديه :ارقاديوس، جعله على العاصمة الشرقية، وهنوريوس، جعله على العاصمة الغربية. ثم توفي هو سنة 395م فاستقل كل من الولدين بناحيته، وتم الانفصال بين العاصمتين. وأخذت الاولى في الصعود، والثانية في السقوط. هذه المملكة الشرقية هي التي يدعو العرب أهلها من الاغريق واللطين بالروم. ويطلقون اسم الرومان على أهل المملكة الغربية. بعد أن بلغ الروم قوة عظيمة صاروا يحاولون استرجاع كل الممالك التي خرجت عن رومة،

ويرون لانفسهم الحق في تراثها. فاشتبكوا لذلك مع الوندال بافريقية، والقوط بالاندلس، وغيرهم. وقد بلغ من عظمة الروم أن صارت لا يدانيها في العظمة غير دولة الفرس. وكانت بين هاتين الدولتين العظيمتين حروب ذات أهوال وخطوب.

دخول الاحتلال البيزنطي الي الجزائر:

كان دخول الروم الي شمال افريقيا دخول الاعرج وذلك بعد هزيمتهم امام الفرس في المعركة التي دارت في الاغوار كما ذكرها القران الكريم في سورة الروم لقوله تعالى : " ألم غلبت الروم في أدنى الارض " ، و قد جري تغريمهم من قبل الفرس رغم ذلك كان البحث عن النصر شيئا ملحا فكانت النجدة التي طلبها هليدريك علي جلمير في وقته تماما لاسترجاع املاك الاحتلال الروماني من قبل و التوسع نحو الغرب و القضاء علي أتباع مخالفهم في



الدين الوندال الاريبيين فكان خطتهم في ذلك لما قدموا ان مقصدهم في المجئ هو الامساك بجلمير لكن بعد اسر هذا الاخير اتضحت نوايا قائد الحملة الذي كان يدعي بليسير و يترك خلفه قائد الجيش سلمان الخصي .

و يذكر الملي : " ان القضاء على مملكة الفاندال في شمالي إفريقيا ، لم يرد شمالي إفريقيا إلى الإمبراطورية الرومانية الغربية، ولا جعل شمالي إفريقيا تستقر تحت سلطان الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ذلك لأن البربر استمروا في ثوراتهم على الروم. ومع أن الروم قد حاولوا إخضاع البربر في أوقات مختلفة فإنهم لم يستطيعوا أن يفرضوا على شمالي إفريقيا سوى ظل خفيف من سلطانهم، وعلى عدد قليل من المراكز الساحلية " ،كبونة و محاصرة منطقة الزاب الي سطيف ، أما الاوراس و نواحي قسنطينة الي قالمة فبنوا حولهما مراكز حصنية لرد الهجمات البربرية أو الاغرار عليها ⁴.

فأنشأوا لاتقاء هجمات البربر الاسوار الحصينة خلف المدن، وبني الفلاحون بباديتهم الحصون المنيعة، وشيدت حصون على خطوط الحدود والطرق التي يمكن ان يفضى البربر منها الى التراب الرومي. وقام بتلك البناءات والاستحكامات بجلها سليمان الخصي، وبيعها معمرو الروم انفسهم. ومن المدن الكبرى التي أحيطت بالاسوار قرطنة وقيسرية وسطيف وميلة وتمغاد وقصر الصبيحي وقالمة ومدوروش وتبسة. وللروم من البناءات سوى الاسوار والحصون وتشيد الكنائس. وليس لهم من البناءات العمومية غيرها.

الوضع الاجتماعي:

لقد أرق هؤلاء الولاة الاهالي البربر بالضرائب الفادحة. وزاد في فداحتها جور المستخلصين لها. وعلاوة على ذلك كله كانت الجنود تماطل بأعطيتها، فتستخلصها من الاهالي.وقد تكونت الفوضى وعمت من ذلك البؤس ومن فقد الاخلاص سواء من الجنود لرؤسائهم أو من الرؤساء لدولتهم. ان ما اشتهر به الوندال من التخريب ليس شيئا يذكر أمام تخريب الروم. فان الوندال مكثوا أكثر من قرن ولم يبلغوا في التخريب وقتل الانفس ما بلغه الروم في عشرين عاما.والخلاصة ان الحياة الاجتماعية بالجزائر على عهد الروم بلغت من الانحطاط والتقهقر والشقاء ما لم تبلغه في دور من أدوار تاريخها⁵.

المقاومة البربرية ونهاية البيزنطيين :

لم يسيطر البيزنطيون الا علي سواحل الجزائر الي غاية تيبازة ولقد اعتبروه انتصارا باهرا. ولكنهم لم ينتصروا على البربر الا بالبربر و ذلك عبر استمالة بعض زعماء البربر لاحتلال بقية المناطق التي لم يستطيعوا احتلالها وهم يعدون البربر كلهم أعداء لهم سواء المحارب. ان الاحتلال البيزنطي علي شمال إفريقيا ما كان إلا محاولة لإذكاء الروح التوسعية علي خلفية ما أفضي للوندال من الرومان ، أمام بعدين أساسيين ،بعد عقدي والآخر توسعي استعماري إلا أن البربر تفتنوا للروم بأنهم محتلون لذلك كانت المقاومة علي أشدها منذ الوهلة الأولى مع جلمير ضدهم .

اشتعل فتيل الثورات ضد المحتل البيزنطي حيث وصل إلى الأوراس بقيادة الملك البربري بیداس الذي كان على جبله. وأرثياس كان على غربي أوراس الى الحضنة. وقطريناس، كان على شرقي أوراس الذي قاد هذا البربري الثورة ضد الروم سنة 535 م لكنه انهزم ثم خرج إليهم ثانية وفي هذا الحين كان بیداس ومصيناس يجولان بنوميديا وينهبانها بجموعها. والتحق ببیداس بعض البربر المنهرمين ليقود الثورة من الأوراس ضد الغزاة.

لقد استمرت غارات البربر على الروم وعجز الولاة عن إيقافها عند حد ما ،حتى جاء الوالي جناديوس فحارب البربر وافتك منهم بعض ما كان استولوا عليه من الاراضي. ولكنهم لم يزالوا في غاراتهم حتى انهم سنة 597م بلغوا أبواب قرطاجنة وحاصروها. هذا كما سبب البربر للبيزنطيين وضع الأمن و عدم الاستقرار في حين ضيقوا عليهم الخناق و النطاق الجغرافي، بحيث عجز كثير من الولاة عن ادارة المستعمرة في ظل تمرد الجند على قوادها. كان **جرجير** اخر والي بيزنطي علي شمال افريقيا قد اعلن انفصاله عن الإمبراطورية بسبب التسابق علي كرسي العرش وفي سنة 647 م هجم العرب على هذه الدويلة. فقصوا عليها لأول هجومهم. وقتلوا جرجير. واحتلوا عاصمته في سبيطلة⁶، ومن ذلك الحين انقرضت السلطة الرومية من الشمال الأفريقي بعد ما لبثت 113 سنة⁷. وهكذا اندثر الرومان و الوندال و معهم الروم من هذه الارض التي اراد الله سبحانه و تعالي النور الذي قوض البربر علي هؤلاء مع بداية الفتوحات الاسلامية.

¹ تفسير ابن كثير ، الآية 2 من سورة الروم ، المصحف الالكتروني ، 404 .

² ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة: زكي نجيب محمود، محمد بدران، عبد الحميد يونس، محمد علي أبو درة، فؤاد أندراوس، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، 1 دار الجبل، بيروت - لبنان ، 1988 ، ج 12 ، ص 11 .

³ مبارك الملي ، المرجع السابق ، ص 359.

⁴ نفسه، ص 365 .

⁵ نفسه، ص 375 .

⁶ من بلاد تونس جنوبي القيروان. اتخذها القائد جرجير قاعدة له بعد دخول المسلمين إلى أفريقية لوقوعها في جوف البلاد حتى لا تتعرض لغزو العرب.

⁷ نفسه، ص 377